

علماء وأعلام

العلامة السيد

محمد حسين الطباطبائي



ولادته ونسبه

ولد العلامة الطباطبائي في أواخر ذي الحجة سنة 1321 ق في منطقة (شاد آباد) إحدى توابع محافظة تبريز الإيرانية في أسرة عرفت بالعلم، حيث اشتهرت أسرته منذ القدم بالفضل والعلم والرياسة، وكانت سلسلة أجداده الأربعة عشر الماضين من العلماء المعروفين فيها. تنتهي سلسلة نسب العلامة الطباطبائي من جهة الأب إلى الإمام الحسن المجتبي^{عليه السلام} عن طريق إبراهيم بن إسماعيل الديباج، فيما ينتهي نسبه من جهة الأم إلى الإمام الحسين^{عليه السلام}. توفيت والدته وهو في الخامسة من عمره فيما توفي والده عندما بلغ التاسعة فعاش يتيم الأبوين هو وأخوه الأصغر السيد محمد حسن.

سيرته

العلامة محمد حسين الطباطبائي، ولد^{عليه السلام} يوم 29 من شهر ذي الحجة الحرام ، سنة 1321 هجري قمري (17 آذار/مارس 1904) ، بمدينة تبريز، شمال غرب إيران. والده السيد محمد القاضي الطباطبائي^{عليه السلام} نشأ في أسرة كريمة معروفة في يزد (ان لم نقل في المشرق الإسلامي) بالعلم والمعرفة وقد نشب منها علماء ومفكرون كبار. يصل نسب السيد العلامة^{عليه السلام} من جهة أبيه إلى الإمام الحسن المجتبي^{عليه السلام} ومن جهة أمه إلى الإمام الحسين^{عليه السلام} ومن هنا فقد حظي بالانتساب إلى سبدي شباب أهل الجنة.

نشأته

ترعرع العلامة محمد حسين الطباطبائي^{عليه السلام} في عائلة علمائية ، معروفة بالتقوى والورع والتزامها بالدين وخدمة المستضعفين في جو مقفم بالإيمان تجري فيه ينابيع المحبة والود والتألف والأانس، لم يعض من عمره^{عليه السلام} خمسة سنوات ،حينما توفيت أمه^{عليه السلام} وفي التاسعة من عمره الشريف انتقل والده^{عليه السلام} إلى رحمة ربّه، عاش السيد الطباطبائي طفولة صعبة للغاية فقد مر بمشاكل وعقبات، في بداية مسيرته منعتة من الذهاب إلى المدرسة،الى أن بلغ التاسعة من عمره الشريف.

دراسته:

ظل السيد^{عليه السلام} بعيداً عن تعلم القراءة والكتابة. فترة من الزمن وفي سن التاسعة. بدأ العلامة^{عليه السلام} من سنة 1330 وحتى 1336 هـ إلى جانب أخيه بتعلم القرآن الكريم ، ثم درس جملة من الكتب منها :كتاب لستان وبوستان سعدي ونصاب الصبيان ،وأخلاق ناصري ،وأنوار سهيلي وتاريخ العجم ،ومنشآت أمير نظام ،وإرشاد الحساب عند الأديب البارع الشيخ محمد علي السرائي ،كما أخذ فنون الخط على يد الأستاذ الميرزا علي نقلي الخطاط.

انتقل العلامة^{عليه السلام} الى المدرسة الطالبة في سنة 1337 هجر قمر «وبقي فيها مدة من الزمن تعلم خلالها علوم اللغة العربية. كما درس العلوم العقلية وتعلم الفقه والأصول الى سنة 1344 هجر قمر. اقتصرت هذه المدة التي طالت أربعة سنوات بشيء من الكلال والملل والإعراض عن الدراسة وعدم الرغبة في تحصيلها، على حد تعبير السيد العلامة^{عليه السلام} حتى أنه عندما سقط في امتحان كتاب السيوطي ،وقوبل بعتاب أستاذه ،خرج من مدينة تبريز ،مستاءاً متألماً، بيد أنه ولعمل قام به ،سرعان ما غمرته العناية الربانية ،واشتغلت في نفسه رغبة قوية ، لتحصيل العلوم الدينية ، وشوق وتوق بالغ لإكتساب المعارف الإلهية.ومن حينها وحتى نهاية دراسته التي طالت زهاء 18 سنة. لم يصبه شيء من السأم ولم يشعر في نفسه عن الدراسة من الملل وتكبد التعب و تحمّل النصب ،وتجشّم عناء التعلم وصبر على ذله ، فكان يسهر الليالي في المراجعة والتحضير والمطالعة.

فأدى به هذا اللطف الإلهي أن يجتاز كل عقبة واجهته وكل عثرة مثلت أمامه ، وكانت هذه الرعاية الربانية ،تسايبره وتواكب طيلة حياته فكان يشعر دوما بقوة غيبية تنجيه من كل مزلق وتكشف عنه كل مأرق وتهديه إلى حيث الغاية والمقصد.

مقالة/ الجزء الأول

الأصالة والمعاصرة في نظرية أهل البيت عليه السلام

السيد صدر الدين القبانجي

⚠️ الأبحاث و المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي «الاتفاق» بالضرورة ، بل تعبر عن رأي أصحابها



لمن هذه الامامة الفكرية بعد رسول الله^{عليه السلام}، والى يومنا هذا؟

بالاتفاق فان الامامة الفكرية بالأصل هي للقرآن وسنة الرسول^{عليه السلام}، لكن المشكلة ان القرآن يحتاج إلى من ينطق عنه، ويشرح مقاصده، ويستوعب جميع ما جاء فيه فمن هو ذلك؟

وسنة الرسول^{عليه السلام} قد تصرّف فيها الوضّاعون والكذّابة كما تنبأ بذلك رسول الله^{عليه السلام} قائلاً -سيكثر على الكذّابة - فمن هو المنيع الصافي الذي نستقي منه هذه السنة؟

واليوم وبعد تقادم العصور، وتطور العلوم، من هو المرجع الفكري الذي يمتلك حق التعبير عن الإسلام واحكامه ونظرياته؟

نظرية أهل البيت^{عليهم السلام} أكّدت ان المرجعية الفكرية القيمة على الإسلام بعد رسول الله^{عليه السلام} هي للأئمة المعصومين الاثني عشر من أهل بيت النبوة^{عليهم السلام} والمرجعية الفكرية من بعدهم وفي عصر غيبتهم هي للفقهاء العدول.

هذه النظرية هي التي لخصها الحديث الشريف الوارد عن الإمام المهدي المنتظر عجلّ الله تعالى فرجه القائل - أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا فأنهم حجتي عليكم وانا حجة الله -.

نصطاح عليه بعبارة -الفقهاء - واصطلاح -حجة الله - يعنى الامامة والزعامة والمرجعية الشرعية.

ان مدرسة أهل البيت^{عليهم السلام} قد حلّت مشكلة الفراغ في الزعامة الفكرية بعد رسول الله^{عليه السلام} وبعد الأئمة المعصومين^{عليهم السلام} وإلى الابد.

فالأئمة من أهل البيت^{عليهم السلام} هم -حجج الله على خلقه، وامناء الرحمن، وابواب الايمان - و-عندهم ما نزلت به رسله، وهبطت به ملائكته - وهم -الإمام - الذي عناه الله تعالى بقوله -وكل شيء احصيناه في إمام مبين -.

والفقهاء العدول من رواة حديثهم، وحملة علومهم هم الامناء على الشريعة -الفقهاء امانه الرسل - والمرجع الديني للناس . وفى ذلك يقول الإمام الحسن العسكري^{عليه السلام}:

- اما من كان من الفقهاء صائناً لنفسه، حافظاً لدينه، مخالفاً لهواه، مطيعاً لأمر مولاه فللعوام أن يقلدوه- .

ولقد عمل الأئمة من أهل البيت^{عليهم السلام} على ترسيخ هذه النظرية -نظرية الرجوع إلى الفقهاء وقيمومتهم على الفكر والفقه الإسلامي - أيام حياتهم حينما كان يسألهم أتباعهم عن المرجع لأخذ معالم الدين فيؤكدون كما جاء عن الإمام الصادق^{عليه السلام}:

-ان العلماء ورثة الأنبياء، وذلك ان الأنبياء لم يورثوا درهما ولا ديناراً، وإنما أورثوا أحاديث من أحاديثهم فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ خطأ وافرأ، فانظروا علمكم هذا عمّن تأخذونه؟ فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين.

والملاحظ فينظرية أهل البيت^{عليهم السلام} ، أنها تضع هؤلاء الفقهاء مرجعاً للفكر الإسلامي ليس فقط في مقابل التيارات الكافرة وإنما في مقابل الاتجاهات المنحرفة، والتأويلات الباطلة التي تحدث في داخل الدائرة الإسلامية نفسها وعلى أيدي رجال يضعون أنفسهم موضع المرجعية الفكرية للدين.

نتابع

المصدر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية

بدايات فكر خاطيء يزعم ان هناك فراغاً فيالتشريع الالهى يدعوننا ويضطرنا للعمل باجتهاداتنا الشخصية من أجل ملء ذلك الفراغ.

ان نظرية أهل البيت^{عليهم السلام} تؤكد بشكل قاطع وحامم أنه لا يوجد أى فراغ في الشريعة الإسلامية، ولعل هذا هو ما كان يشير إليه رسول الله^{عليه السلام} بالقول:

-إنه والله ما من عمل يقربكم من الجنة إلا وقد نبأكم به وأمرتمكم به، وما من عمل يقرّبكم من النار إلا وقد نبأكم به ونهيتكم عنه - تحف العقول.

وإذا كان ثمة حديث عن وجود -منطقة فراغ - في التشريع متروكه إلى الفقهاء وأولي الأمر فان ذلك ليس في دائرة اصل التشريع وإنما في دائرة التطبيقات التي تخضع لعناوين متحركة حيث يكون دور الفقهاء وولاة الأمر وأهل الحل والعقد هو التأكد من مصداقية ذلك الواقع المدروس لأي واحد من العناوين ليشمله حكمه الثابت في الشريعة.

ان روايات أهل البيت^{عليهم السلام} تؤكد شمولية الإسلام لكل الوقائع انطلاقاً من قوله تعالى: -ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين - (النحل: 89) وهنا يقول الإمام أمير المؤمنين^{عليه السلام} وهو يتحدث عن القرآن:

-إلا أن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي، ودواء دألكم، ونظم ما بينكم - نهج البلاغة / خ 158.

وبطبيعة الحال فان هذه الشموليّة لا تعنى بالضرورة أن كل القضايا التفصيليّة والجزئية مذكورة فيالقرآن بعنوانها الخاص، وإنما تعنى ان التشريع الإسلامي في مجموع أحكامه الجزئية وقواعده الكلية وملكوته التشريعية مستوعب لكل المستجدات بحيث يقدم لها الحكم الشرعي دونما حاجة إلى تقديم رؤى شخصية واستخدام قواعد وقياسات من خارج دائرة الشرع الاسلامي.

النقطة الثانية: ثبات الشريعة

بمعنى أن الدين الاسلامى لما كان هو الدين الخاتم وهو لا يتغيّر على مر العصور والدهور فان احكام الشريعة الإسلامية هيأحكام مطلقة من حيث الزمان والمكان فهي ثابتة لا تتغير، لان التغيّرات التي تطال الواقع الاجتماعي للانسان هي تغيّرات على مستوى المظاهراحياتية أما واقع المشكلات والحاجات البشرية فهو ثابت لا يتغيّر وقد نزلت الشريعة الإسلامية من عند الله تعالى لمعالجة ذلك الواقع وهو واحد مهما تغيّرت الاشكال. وهكذا القرآن الكريم فانه يقدّم معالجات وحلول ومناهج منسجمة تماماً مع واقع الحاجات البشرية التي لا تتغيّر مهما تغيّرت اشكالها.

■ يقول الإمام الصادق^{عليه السلام}:

-لو أن الآية اذا نزلت في قوم ثم مات أولئك ماتت الآية ما بقي من القرآن شيء ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السماوات والأرض - البيان / السيد الخوئي.

في ضوء هذه النقطة فان عملية -العصرنة - يجب أن لا تمس الاحكام الثابتة في الشريعة وانما يجب أن تتم وفقاً لتلك الاحكام والمناهج، وسوف يكون مرفوضاً التفكير بان تغير مقتضيات العصر يفرض تغييراً فيأحكام الشريعة.

النقطة الثالثة: وجود القيم على الشريعة

من الذي له حق التعبير عن الإسلام؟ ومن هو الذي يمثل الفكر والرؤية الإسلامية الصحيحة؟

وهل هناك شخص أو جهاز خاص يعتبر هو المرجع في هذه المسألة أم أن القضية تخضع لاجتهادات مفتوحة لا تخضع لآلية معينة؟ الحقيقة ان هذه المسألة في غاية الأهمية، وقد ناضل الأئمة من أهل البيت^{عليهم السلام} واتباعهم من أجلها نضالاً كبيراً.

هذه المسألة هي مسألة -الامامة الفكرية - التي تكون هيالمرجع النهائي لتقويم كل ما يعرض من نتاج أدبي يتحدث عن الإسلام في شتى مجالاته.

وربما تكون عملية في شيء من التعقيد والصعوبة، إلا انها على كل الاحوال ضرورة يجب أن يتوفّر لها فقهاء الإسلام.

■ اتجاهاان

ولقد شهد التاريخ الإسلامي القديم والمعاصر اتجاهين في المسألة: الاتجاه الأول يتمسك بالأصالة على حساب المعاصرة، متسماً بشيء كثير من (التحجّر)، ومتبعداً عن متطلبات الواقع الإنساني المتجدد في احواله ومشكلاته واساليبه. في ضوء هذا الاتجاه اغلق باب الاجتهاد، واطيح بالعقل باعتباره أساساً في فهم الشريعة ومعارفها واحكامها، واصبح هذا الاتجاه في مواجهة التحديات والمستجدات كمن يدخل ساحة الحرب بأسلحة تقليدية قديمة، الأمر الذي ساعد على نجاح الغزو الثقافي لمجتمعنا، واتهام الفكر الإسلامي بالرجعية وغير ذلك.

وفي مقابل هذا الاتجاه - ولاكثر من سبب - برز اتجاه ثان يتعاطي مع قضية المعاصرة ولكن على حساب الأصالة، وبشيء كثير من (التحلل). هذا الاتجاه اعتبر -الرأي الشخصي - أصلاً في فهم القرآن، واكتشاف العلوم الإسلامية.

وقد نجد هذا الاتجاه في ظرفنا المعاصر تحت عنوان - تعدد القراءات - حيث يرفض وجود ثوابت للحق، واصلو مقرة في اكتشافه كما سنقف عند ذلك في فصل لاحق باذن الله تعالى.

■ نظرية أهل البيت^{عليهم السلام}

لقد بذل الأئمة من أهل البيت^{عليهم السلام} جهداً واسعاً في تأسيس الاتجاه الصحيح للتوفيق بين الأصالة والمعاصرة، واستعدوا من أجل هذا التأسيس لتحمل نتائج مزة كلّفهم أحياناً عزلاً سياسياً، وحصاراً فكرياً، وخاضوا من أجل هذا التأسيس أيضاً مواجهات مع الحكام مزة ومع التيارات الفكرية مرة أخرى، ولكن أهمية المسألة ودورها في الحفاظ على الإسلام هي التي جعلتهم على استعداد لدفع كل الضرائب اللازمة للأمر.

ان -التحجّر - يعنى إحسار الإسلام وخافقه وتحوّل على مر السنين إلى مجرد تراث تاريخي يستحق أن يوضع فيالمتاحف. كما أن -التحلل - والاسفاف في العصرنة على حساب الأصالة هو الآخر يؤدي الى تشذّب الإسلام تدريجياً حتى لا يبقى منه إلا اسمه. إن تصابّ الأئمة الأطهار^{عليهم السلام} في مسألة التوفيق بين الأصالة والمعاصرة والتمسك بالعنصرين معاً كان ناشئاً من اعتبار هذه المسألة مسألة حياتية ومصيرية للإسلام وإن اي خطأ فيها من هذا الجانب أو ذاك سيؤدى الى نهاية الإسلام.

ولعل مقولة الإمام علي^{عليه السلام} - قصم ظهري اثنان عالم متمتلك وجاهل متنسك - تحمل في بعض دلالاتها الاشارة إلى هذين الخطرين -التحجّر -و-التحلّل -

حيث -يتحلل - العالم المتمتلك حينما يبتعد عن الأصالة الإسلامية ويعمل برأيه واجتهاده الشخصي بهدف التواءم مع مقتضيات العصر. وحيث -يتحجّر - الجاهل المتنسك حينما يلتزم بالشريعة بطريقة حرفية بعيدة عمّا هو جوهر الشريعة، وسعتهما، ومعالجاتها الشاملة لكل مشاكل العصر.

اننا نستطيع ان نجمل نظرية أهل البيت^{عليهم السلام} في مسألة التوفيق بين الأصالة والمعاصرة بعدة نقاط.

النقطة الاولى: شمولية الشريعة حيث تؤكد نظرية أهل البيت^{عليهم السلام} ان كل الوقائع البشرية وفيمختلف المجالات والمستويات الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والاخلاقيّة والعباديّة... ان كل الوقائع البشرية لها حكم من الشارع المقدس، حيث لا نجد في الشريعة الإسلامية اي فراغ على مستوى التشريع، وعلى مدى الأزمنة والعصور. وفي هذا المجال نقرأ نصوصاً عديدة للأئمة من أهل البيت^{عليهم السلام} تقول -ما من واقعة إلا ولله فيها حكم حتى أرش الخدش - ويبدو من يراجع هذه الاحاديث المتعددة وطريقة عرضها للمسألة أنها كانت بصدد مواجهة

بسم الله الرحمن الرحيم

■ تاريخ المسألة

لم تكن مسألة الأصالة والمعاصرة في الاجتهادات الفكرية والتشريعية في الإسلام مسألة حديثة الولادة بقطع النظر عن طبيعة العنوان والاصطلاح المتخذ للتعبير عنها.

اننا قد نجد بعض إفرزاتها في زمن الرسول الأكرم^{عليه السلام}ص؟ وما بعده مباشرة حينما ظهرت العديد من الاجتهادات الشخصية في مقابل حكم الرسول وقوله^{عليه السلام}، ولم تلبس تلك الاجتهادات الشخصية ثوب الرأي الذاتي وإنما طرحت على أساس الملازمة للواقع والانسجام معه وهذا هو ما يصطاح عليه اليوم ب -العصرنة) أو (المعاصرة).

ان هذا اللون من الاجتهادات في قرارات ذات طابع سياسي أو تشريعي في مقابل حكم القرآن أو نص الرسول الأكرم^{عليه السلام} ربما لم تكن - في مظهرها كما قد يفسرها بعض - على أساس التنكّر للأصالة ورفض الشرع، وإنما طرحت على أساس حق التعديل والتصرّف بحكم الشرع تبعاً لظروف الواقع المعاصر، بمعنى تقديم عنصر (المعاصرة) على عنصر (الأصالة) وحينما تحدث رسول الله^{عليه السلام} قائلاً -حلل محمد حلال إلى يوم القيامة، وحرام محمد حرام إلى يوم القيامة - كان ذلك تعبيراً عن ضرورة التزام عنصر الأصالة وعدم السماح بميدد التلاعب بالأحكام الشرعية.

ولكن الإمام علي^{عليه السلام} حينما عرضت عليه البيعة بعد وفاة عمر بن الخطاب الخليفة الثاني على ان يعمل بكتاب الله وسنة رسوله ويسير بسيرة الشيخين رفض ذلك وقال: -تبايعوني على كتاب الله وسنة رسوله واجتهاد رأيي - وكأنه أراد التأكيد على عنصري الأصالة والمعاصرة معاً، حيث يعبر اجتهاد الرأي عن عنصر المعاصرة كما يخضع إلى عنصر الأصالة التزاماً بالكتاب والسنة.

■ تعريف الاصطلاح

و قد يكون مفيداً أن تحدّد بدقة ماذا يقصد بمصطلح -الأصالة -و-المعاصرة ؟ - الأصالة من -الأصل - ويقصد بها ارتباط الشيء بأصله، وعدم انحرافه عنه.

المعاصرة من -العصر - ويقصد بها مواكبة الشيء وتناسبه مع مقتضيات العصر ومستجداته.

وعلى ذلك يكون المقصود بالأصالة الإسلامية ارتباط المواقف النظرية أو العملية بالمبادئ والقيم والتشريع الإسلامي وعدم تجاوزها لأي واحد من تلك الأصول.

ويكون المقصود بالمعاصرة الإسلامية هو توافق المواقف الإسلامية سواء على المستوى العملي أو النظري مع مقتضيات العصر.

■ عنصران ضروريان

وفقاً لذلك سوف يتأكد أن الأصالة و المعاصرة عنصران حتمييان في الإسلام ولا يمكن رفع اليد عن أي واحد منهما.

ان الإيمان ب -خاتمية - الإسلام، واعتبار أي تشريع وموقف لا يستند إلى الإسلام هو ضلال وانحراف استناداً إلى الضرورة الإسلامية القائلة -أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً - والقائلة -حلل محمد حلال إلى يوم القيامة وحرامه حرام إلى يوم القيامة -.

ان هذا المعتقد الإسلامي سوف يوصد الباب أمام شرعية أي تصرّف وتجاوز لما جاء في الأصول الإسلامية ويعتبر ذلك جاهلية وضلالاً -و هل بعد الحق إلا الضلال -.

وإذا كان الإسلام هو الدين الخاتم، فلايد أن تكون أحكامه وشرائعه منسجمة مع كل العصور، وقابلة لاستيعاب كل المستجدات.

ولذا كانت طبيعة المجتمع الذي نزلت به الرسالة الاسلامية قد فرضت لغة خاصة في التخاطب، وحلولاً لنمط خاص من المشاكل الحياتية فإن على فقهاء الاسلام أن يكتشفوا جوهر الحلول والنظريات الإسلامية التي تتمكّن من معالجة قضايا العصر، وتخطاب ابنائه باللغة المناسبة وهو ما يصطاح عليه ب -المعاصرة) أو -العصرنة -.

ان التوفيق بين الأصالة من ناحية والمعاصرة من ناحية ثانية هي مسألة في غاية الأهمية،